بنية الكلمة العربية بين الثبات الدلالي والتغير الصوتي

سهى فتحي أسعد نعجة

مركز اللغات، الجامعة الأردنية، الأردن

الملخص

يحاول البحث تقديم تفسير علمي لظاهرة ثبات دلالة كلمة ما مع اختلاف طرائق النطق الصّوتي لها بين الزيـــادة والحذف والتبديل والقلب اعتماداً على صفات الأصوات، وذلك باختزال أصوات اللغة العربية إلى حزم صوتية متجانسة تضم كل واحدة منها مجموعة من الأصوات المتآحية المخرج، وتصبح أصوات الحزمة الواحدة ذات قابلية للتبدّل الصوتي من غير أن يطرأ تغيير جذريّ على دلالة الكلمة لمؤثّرات التطوّر كالبيئة الجغرافية والحياة الاجتماعية ودرجة التحضـــر والمدنية، وغيرها من المؤثّرات في الأداء الصوتي للألفاظ.

Abstract

Based on the sounds description, this paper aims to provide a scientific explanation of the meaning consistency of the word with its various means of phonetic articulation, addition, deletion, alteration and transformation. This would be achieved by shorthanding the Arabic sounds into consistent phonetic groups in which every group contains a number of sounds that are consistent in articulation. The sounds of one group become susceptible to phonetic alteration without any radical change to the word's meaning following the development influences such as geographical environment, social life, the degree of civilization and modernization, and any other influences on the phonetic performance of the words.

مدخل:

لعلّ في بناءِ المعجمِ العربيّ على تنظيرٍ عامّ مؤدّاه أنّ الصوتَ اللغويّ بنيةٌ مستقلّة في المدخَلِ المعجميّ تنتجُ عن تقاطعٍ بينَ المعيارِ المجرَّد الثلاثيّ أو الرّباعيّ والاستعمال الدلالّي للبنية ما يثيرُ سؤالاً منهجياً نحسبُه مؤسّساً لما يمكِنُ من إعادةِ صَوْغ تصوّرٍ نظريّ لبناءِ معجمٍ عربيٍّ محدَّثٍ ببحوث نقديّةٍ تحليليّةٍ لجوانبَ مختلفةٍ من المعجم العربيّ الموروث.

والسؤال: إلى أيّ مدى أحالَ المعجميّونَ القدامى النَّظَرَ في البنية الصّوتيّةِ المجرَّدة ذاتِ الدّلالة الواحدة والتمثُّلات الصّوْتيّة المتباينة، نحو: ((مَعَط الشيء ومَغَطه))[١]: إذا مدَّه، و"رهمس الخبز ورهسمه"[٢]: إذا أتى منه بطرَفٍ ولم يفصحْ بجميعه، و"رصّ الشيء ورصفه"[٣]: إذا أحْكَمَه وجمعَه وضمَّ بعضه إلى بعض؟

فهلْ هذا التغيّر الفونيميّ المخرجيّ بين العين والغين في المثال الأوّل، والموقعيّ بين السّين والميم في المثال الثاني، والمقطعيّ في المثال الثالثِ مدعاةٌ للحفاظِ على استقلالِ كلّ مادّةٍ معجميّة على حِدة؟ أم هو مُستندٌ للنَّظر في إمكانيّةِ ضمِّها، أو إعادة تفسيرِ استقلالها ضمنَ الثبات الدّلاليّ في إطار التحوُّل الصّوتيّ، ولا سيَّما أنّ معنى المدخل المعجميّ يتحَدَّدُ ضمنَ دائرةٍ أصلٍ لها ظِلالٌ دلاليّة تلوّن المعنى الأصل وَفْقَ السياق أو الاستعمال.

فالمدخل المعجميّ: ((كفر))[٤] أصلُ معناه: تغطية الشيءِ تغطيةً تستهلكه لأنّه مشتقٌّ من السّتر. والكافر: الزّارِع؛ لسترِه البذرَ بالتراب. والكافر: اللّيل؛ لستره الأشخاصَ، وبه سُمِّيَ جاحد وجود الله كافراً. وكُفر النعمة: سترها بترْك أداء شكرِها. والكفّارة: ما يغَطّى الإثمُ به، كقوله تعالى: (ذلك كفّارة أيمانكم إذا حلفتم)[٥]. والتكفير: السّتر والتغطية كقوله تعالى: (نُكَفِّرُ عنكم سيئاتِكم)[٦]، فقد تلوّن المعنى الأصل ((السّتر)) تأثّراً باستعمالاته السّياقيّة معَ المحافظة على الدّلالة العامّة لأصل ((الكفر)).

ويلحَظُ مُستقري المعجم العربيِّ أنّ بعضَ الظّلال المعجميّة تتلاقى دلاليّاً مع أنّها مُدخلاتٌ معجميّة مُتباينة[٧]، لكنَّ هذا التباينَ يحملُ في ائتلافه الصّوتيّ توافقاً كقولهم: ((الصّاق لغةٌ في السّاق))[٨]، و((بقرَ الشيءَ وعقرَه))[٩]إذا شقّه، و ((دعّ الشيء ودفعه))[١٠] إذا أزالَه بقوّة.

فـ ((الصّاق)) في المثال الأوّل تتساوى دلاليّاً مع ((السّاق)) وتختلف في صَوْتَي الصّاد والسّين فقط، وهذا يعني أنّ الاختلافَ الصوتيّ لم يتبعْه اختلافٌ دلاليّ؛ لأنّ الصّاد المقابل المفخّم للسّين تتفقُ مع السين في المخرج، وصِفة التحكُّم، والهمس.

و ((بقر)) في المثالِ الثاني تتساوى مع ((عَقَر)) باختلاف صَوْتَي الباء والعين اللذين التقيا في صِفتَي الجهر والترقيق، فكأنّ في الكلمة إلحاقاً على البنية ((ق.ر)) شكّلتِ المعيارَ الثّلاثيّ الذي ارتضاه المعجميّون للإدخال في المعجم.

و ((دعّ)) في المثال الثالثِ تتسقُ مع ((دَفَعَ)) دلالةً، وتختلف في إقحام الفاء بين فاء الكلمة وعينها عن طريق المخالفةِ بينَ المتماثلين للاقتصادِ في الجهد.

فكيفَ يمكنُ تفسيرُ هذا الاتفاقِ الدّلاليّ في إطار التباينِ الصّوتيّ النسبيّ، ولا سيّما أنّ الأصلَ المعياريّ العامّ لمعنى المفردةِ اللغويّةِ في العربيّة يتحدّد بجذرٍ ثلاثيٍّ تتضامُّ حروفه في سياق صوتيٍّ لتكوين معنى المفردة مع ما يلحقُ هذا المعنى من تلوّنات نتيجةَ الزيادةِ الاشتقاقيّة؟

(١)

تذهبُ الدّراسةُ إلى أنّ الأصوات حُزَمٌ صوتيّة تتآخى وَفقَ المخرَجِ، أو صفةِ التحكّم، أو التفخيم والتّرقيق، أو الجهر والهمس[١١]، وهذا يعني أنّ الأصوات المتآخيةَ على المستوى النظريّ تشكّل وَحْدَةً واحدة تبيحُ انتقالَ الصّوت من مجموعة إلى أخرى نحو: ((زَحْلَك وزَحْلَق وزَحْلَل))[١٢] للمزلّة، و((بَرْهَم الشّجرَ وبَرْعَم))[١٣] إذا اجتمع نورُه وورقه، و ((تَرْمَس وتَرْنَس))[١٤] للحفرة تحت الأرض، و ((جَرْجَب الطعامَ وجرجمَه))[١٥]: إذا أكله كلّه. أو من مكان إلى آخر نحو: ((النّهابير والهنابير))[١٦] لما (أشرف)من الأرض، و شَهْربة[١٧] للعجوز الكبيرة، و ((خذعبه بالسّيف وبخذعَه))[١٨]: إذا ضربه، و ((العنظلة والتّعظلة))[١٩] للعَدْوِ البطيءِ؛ تبعاً للمؤثّرات الجغرافيّة، والبيولوجيّة، والحضاريّة في ظلّ الثّبات الدّلاليّ والتحوُّل الصوتيّ.

والحزَمُ الصّوتيّة تؤدي إلى تقليل عددِ الأصواتِ اللغويّة في المستوى النظريّ التاريخيّ لمنشأ اللغة، وعَدّ الواقع الصّوتيّ تنوّعاً وتلوّناً بين أصواتِ الحزمة الواحدة، ولعلّ قول سيبويه: ((فأصلُ حروف العربية تسعةٌ وعشرون حرفاً... وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هنّ فروع، وأصلهما من التسعة والعشرين وهي كثيرة يُؤْخَذ بها، وتُستحسَنُ في قراءةِ القرآن والأشعار، وهي: النون الخفيفة، والهمزة التي بينَ بينَ، والألف التي تمال إمالةً شديدة، والشّين التي كالجيم، والصّاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم بلغةِ أهل الحجاز))[٢٠] فيه استشعار للحزم الصوتية، فالشين التي كالجيم مبنيّة على أن الجيم والشين ينتميان إلى حزمة واحدة باشتراكهما في المخرج والترقيق كما في الرسم التالي:

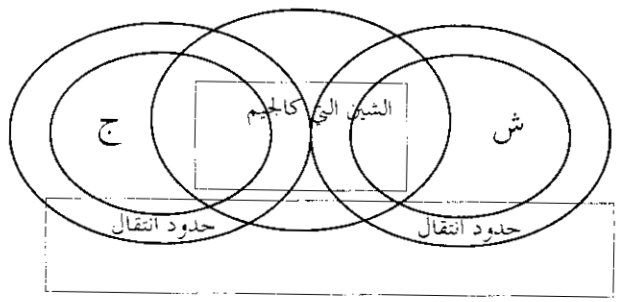

والصّاد التي تكونُ كالزاي مبنيةٌ على التقارب في المخرج، والتماثلِ في صفة التحكّم، والاختلاف في الجهر والهمس؛ فالصّاد أسنانيّ لثويّ، والزاي أسنانيّ، وكلاهما حرفٌ رِخْوٌ، وأحدهما ((الصّاد)) مهموسٌ، والآخر ((الزاي)) مجهور، كما في الرسم التالي:

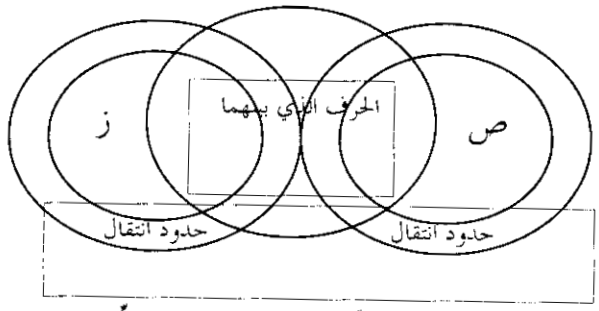

فالدائرةُ الصغرى ((ش/ ج)) و ((ص/ ز)) تمثّل نواة الحرف الحاملة لكلّ خصائصِه الصوتيّة، والدائرة التي تدور حولَه تمثّل الظّلال الصّوتية – وهي الملامحُ الصّوتية المشتركة بينَ الحرفين: الأصل والفرع – لحرفِ النّواة، على حين الدائرة الناشئة بينَ النواتين لا نواةَ لها، أي أنها غيرُ حاملةٍ لصفات صوتيّة خاصّة بها، ولهذا لم تمثّل حرفاً مستقلاً عند سيبويه ومن جاء بعده.

ولعلّ الصوتَ الناشئ بين النواتين في طريقه للاستقلال لتشكيلِ نواةٍ جديدة، وهذا ما يجعلنا نذهبُ إلى إمكانية أنْ تكونَ بعض أنويةِ الأصوات العربيةِ حادثةً نتيجة التقاءِ بين نواتين من حيثُ الاتفاقُ أو التقارب في المخرج، وبهذا تتوزّع الحُزم الصوتيّة على النّحو التالي:

- حُزمة الأصوات الشفوية: ب، م.
- حُزمة الأصوات الشفوية الطبقية: الواو ((الصامتية)).
- حُزمة الأصوات الشفوية الأسنانية: ف.
- حُزمة الأصوات الأسنانية: ذ، ظ، ث، ز.
- حُزمة الأصوات الأسنانية اللثوية: د، ض، ت، ط، س، ص.
- حُزمة الأصوات اللثوية: ل، ن، ر.
- حُزمة الأصوات الغارية: ج، ش، الياء ((الصامتية)).
- حزمة الأصوات الطبقية: ك.
- حزمة الأصوات اللهوية: غ، خ.
- حزمة الأصوات الطبقية اللهوية: ق.

- حزُمة الأصوات الحلقية: ع،ح.
- حزُمة الأصوات الحنجرية: هـ، ء (الهمزة).

وهذه الحزم يمكن اختصارُها حسب مبدأ التقارب في المخرج لا مبدأ التماثل، فتكون كما يلي:

- حُزمة الأصوات الشفوية والشفوية الطبقية والشفوية الأسنانية: ((ب، م، و، ف)).
- حُزمة الأصوات الأسنانية والأسنانية اللثوية: ((ذ، ط، د، ز، ض، ت، ط، س،ص)).
- حُزمة الأصوات الغارية، ((ج، ش، الياء "الصامتية")).
- حُزمة الأصوات الطبقية والطبقية اللهوية: ((ك، ق)).
- حُزمة الأصوات اللثوية: ((ل، ر، ن)).
- حُزمة الأصوات اللهويّة: ((غ.خ)).
- حُزمة الأصوات الحلقية: ((ع، ح)).
- حُزمة الأصوات الحنجرية: ((هـ، ء)).

ومن هذه الحزمِ تتولّدُ حُزمة ثالثة ينتقلُ فيها الصّوتُ من حزمته إلى حزمة أخرى لاجتماع صفتين صوتيتين فيه؛ فالقاف مثلاً تكونُ ضمن حزمة الأصوات الطبقيّة واللهويّة لأنها صوتٌ طبقيٌّ لهويّ، والفاء تكون ضمن حزمة الأصوات الأسنانيّةوالأصوات الشفويّة؛ لأنّها شفويّة أسنانيّة، والواو الصّامتيّة تكونُ ضمن حُزمة الأصوات الشفويّة والأصوات الطبقيّة لأنها شفويّة طبقيّة.

وقد تتولّد حزمٌ صوتيّة أخرى تولُّداً غيرَ مطّرد نظراً لاتفاقِ صوتين أو أكثر في صفة التحكّم، أو الجهر والهمس، أو التفخيم والترقيق، كما في انتقالِ صوت الخاء إلى الحاء في قولهم: خَذَّ وحَذَّ لحكاية القطع، وتبادل الحاء والخاء معروف شائع بين اللغاتِ الساميّة[٢١].

وينبني على القول بهذه الحزم اختزالُ أصوات منظومة اللغة العربيةِ إلى عدَدٍ أقلّ مما تُعُورِفَ عليه على المستوى النظريّ لا التطبيقيّ، كما ينبني عليه افتراض الحزمة الواحدة ذات هجاءٍ واحدٍ تطوّر إلى عناصر مجموعته.

وإذا كان من الصعب تحديدُ العنصر الأصل في الحزمة الواحدة، فإنّ الاستئناسَ بصنيع الخليلِ بنِ أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٥هـ/٧٩١م) في بناء "معجم العين" قد يكونُ مشيراً لا محدِّداً إلى كيفية الوصولِ إلى الأصل التاريخيّ للحرف؛ إذ إنّ الحزمة الصوتيّة الواحدة لا تعني التماثل الكلّيّ في صفاتِ الحرف إلا من حيث المخرج[٢٢] والخليل قد رتب الحروف حسب الأعمق مخرجاً[٢٣] ضمن الحزمة الصوتية الواحدة.

فمثلاً حزمة الأصوات ((ظ، ث، ذ)) حرفها الأعمقُ مخرجاً هو الظاء، فكأنّه نظريّاً أصلُ حُزمته والثاء والذال فرعانِ.

فالحزمة تتفق أصواتُها مخرجاً، وتختلف فيما بينَها من حيث الجهر والهمس، والتفخيم والترقيق، فالظاء والذال حرفانِ مجهوران، والثاء حرفٌ مهموسٌ، والذال والثاء حرفان مرقّقان، والظاء حرف مفخَّمٌ مطبق، فالتماثل في المخرج حافَظَ على الحزمة الصوتيّة غيرَ أنّه أكسب البنيةَ التي تحمل أحدَ هذه الأصوات تلوُّناً صوتيّاً داخليّاً مع الثبات في الدلالة[٢٤] وكذا الحال في سائر الحزم الصوتيّة.

ولا يعني اختزالُ الأصوات في مجموعةٍ من الحزم، ورَدّ أصوات الحزمةِ الواحدة إلى صوت أصل أنّ الدلالةَ تنشأ بالضرورةِ عن اجتماع عدَّةِ أصوات، بل لعلّ الأقربَ إلى منطقِ الأمور أنْ يرتبطَ بالأصل الأوّلِ دلالةٌ ما تكونُ إشارةً ومشاراً إليه، ثم يُزَمُّ إلى هذا الصوتِ صوتٌ أو صوتان أو ثلاثةٌ تحملُ القيمة التعبيريّةَ نفسَها للهجاء الواحدِ.

فحرفُ الزاي مثلاً يدلُّ على تقلُّع قويّ[٢٥] فإذا قلنا: ((وَكَز، لكَز،نَكَز، لَقَز، نَهَز، لَهَز، بَهَز، بَحز، نَحَز، مَحَز، مَهَز))[٢٦] وجدنا أنّ هذه البنى الصرفيّة تشتركُ في أمرين: الدّلالة العامّة وهي ((الضّرب))، وصوت الزاي؛ مما يجعلُ منها تلوُّناتٍ للمعنى الإشاريّ الأوّل لحرفِ الزاي.

وحرف الغين –غالباً– يدل على خفاء واستتار[٢٧] فإذا قلنا: ((غاب، غمض، غض، غرق، غاص، غطس، غرف، غمر،...))[٢٨] وجدنا البنى الصرفيّة تحوم حول دلالة متقاربة بفعل حرف الغين وهي دلالة الغيبة والغؤورة، ولعل هذا –وهو الأمر الذي نأخذه بصورة نسبيّة لا مطلقة– ما قصده ابن فلوس في مقاييسه حين كان يؤصّل المعنى بقوله: ((هو ((الحرف)) وما ثلثّه أصل يدل على...))[٢٩]. فابن فارس يومئ إلى الفكرة ثم يستعصم بفكرة تضامّ الأحرف تمسّكاً بالأصل المعياريّ في بناء الكلمات، ففكرة البحث موجودة على خريطة البحث اللغوي.

وهذا مدخل من مداخل تفسير الاشتراك في الدلالة في ضوء التغير في الأصوات، لأن تطوّر الأصوات يكون متجانساً داخل البيئة الصوتيّة الصغرى؛ فالقبيلة التي تعيش في بيئة متماسكة متجانسة تطوّر الصوت باتجاه لا يشترط فيه التشابه التامّ مع التطوير الذي تحدثه قبيلة أخرى، وعدد التّطوّرات التي تحدثها هذه البيئات الصّغرى ضمن منظومة اللسان الواحد يشكّل الكلمات التي مرّت بها فتكون من قبيل التعدّد اللهجيّ الذي كان يلمع إليه اللغويون بقولهم: كذا كقولهم: ((الغطر لغة في الخطر))[٣٠]، و ((الأثكول لغة في العثكول))[٣١].

وعن ابن السكّيت أنه قال: ((تميم وأسد يقولون: قشطتُ بالقاف، وقيس تقول: كشطتُ بالكاف لأنهما لغتان لأقوام مختلفين))[٣٢]، أي أنه أدرك أنّ التّطوّر حصل في البيئة الصّغرى، وهنا تلحّ علينا فكرة تعليل اختيار قبيلة تميم وأسد القاف في الوقت الذي تختار فيه قبيلة قيس الكاف بأنّ للموقع الجغرافي،

ودرجة التحضر أو التمدن أثراً في هذا الاختيار، ((فلغة الصّحراويّين خشنة غليظة الأصوات؛ فالعربيّ في الصّحراء يجد أمامه الجو الهائل من الفراغ الطبيعي الذي يحتاج معه إلى قوة عضليّة حتى يتّضح صوته، ويصل إلى ما يريد من أماكن قد تكون بعيدة عنه، والبيئة التي يعيش فيها تشكّل جسمه وعضلات نطقه بطريقة تجعلها مستعدّة لإخراج تلك الأصوات، على حين سكان المدن يميلون إلى رقة الألفاظ وانخفاض الأصوات))[٣٣].

ومن المستبعد أن يحصل تطوّر لدلالة واحدة نحو الشدّة والرّخاوة في بيئة صغرى ((فظاهر –كما يقول الفارابي–)) أن اللسان إنما يتحرّك أولاً إلى الجزء الذي حركته إليه أسهل، فالذين هم في مسكن واحد وعلى خلق في أعضائه متقاربه، تكون ألسنتهم مفطورة على أن تكون أنواع حركاتها إلى أجزاء من داخل الفم أنواعاً واحدة بأعيانها، وتكون تلك أسهل عليها في حركاتها إلى أجزاء أُخر، ويكون أهل المسكن وبلد آخر إذا كانت أعضاؤهم على خلق وأمزجة مخالفة لخلق أعضاء أولئك مفطورين على أن تكون حركة ألسنتهم إلى أجزاء من داخل الفم أسهل عليهم من حركتها إلى الأجزاء التي كانت ألسنة أهل المسكن الآخر تتحرّك إليها، فتخالف حينئذ التّصويتات التي يجعلونها علامات يدلّ بها بعضهم بعضاً على ما في ضميره ممّا كان يشير إليه محسوسة أولاً، ويكون ذلك هو السّبب الأوّل في اختلاف ألسنة الأمم، فإن التّصويتات الأُوَل هي الحروف المعجمة))[٣٤]؛ ولذلك كانت وعورة البيئة الجاهلية تُكَأَة في تفسير خشونة لغة هُذيل في الجاهليّة.

(٣)

والإشاريّة مرحلة سريعة مرت بها اللغة في طورها الأول، ولما لم تعد قادرة على الإيفاء بمتطلّبات النفس واحتياجاتهم انتقلت إلى طَورها الثاني، فزُمّ إلى الهجاء هجاء آخر مشكّلاً البنية الثّنائيّة التي شهدت جملة من التّطوّرات الصّوتيّة والبيئيّة قبل انتقالها إلى الطّور الثالث الذي قام على تقعيد البنية الثلاثيّة بوصفها المرحلة الأكمل نضجاً واتّساقاً، ولعل هذا ما صرّح به الفارابي غير مرّة حين قال إن الناس لمّا وجدوا أن الحروف محدودة، لا تفي للتّعبير عن حاجاتهم، فقد أصبحوا يركّبون من هذه الحروف بضمّ بعضها إلى بعض ألفاظاً مختلفة تساعدهم في التّعبير عمّا يرَوْن، وقد تكون هذه الألفاظ مكوّنة من حرفين أو أكثر[٣٦] وهو بهذا يتّفق وقول الأب أنستاس الكرملي: ((إنّ الكلم وضعت في أول أمرها على هجاء واحد، متحرّك فساكن محاكاة لأصوات الطبيعة ثم فُمّت (أي زيد فيها حرف أو أكثر في الصّدر أو القلب أو الطّرف) فتصرف المتكلّمون بها تصرّفاً يختلف باختلاف البلاد والقبائل والبيئات والأهوية، فكان لكل زيادة أو حذف أو

قلب أو إبدال أو صيغة معنى أو غاية أو فكرة دون أختها، ثم جاء الاستعمال، فأقرها مع الزمن على مـــا أوحته الطّبيعة إليهم أو ساقهم إليه الاستقراء والتّتبّع الدقيق))[٣٧]

فالحرف ((طاء)) انتقل بعد إشاريّته إلى الثنائيّ ((بط))، ((وبت))، و((بج)) ليدلّ على الشّق[٣٨].

ويبدو أن ((الطّاء)) في ((بط)) صوت ناسب المجتمع الصحراويّ الخشن، و((التاء)) في ((بـــت)) راق للمجتمع المتمدّن، على حين جاءت الجيم في ((بج)) التي وصفت بأنها مركّبة من الدال والتـــاء مناســبة للمجتمع الذي توسّط الحاضرة والمدينة.

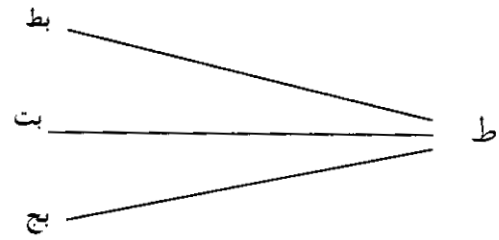

ويبدو أنّ كل بنية من البنى الثلاث شكّلت أصلاً، مرّ بعد ثنائيّته بطَوْر تالٍ نَقله إلى حيّز البنيـــة الثلاثيـــة محافظاً في كل تلوّناته على العنصر الإشاريّ المؤسِّس (ط، ت، ج) وعلى تقارب في الدّلالـــة إن لم يكـــن تماثلاً.

فمن الثّنائي ((بط)) تشكّل الثّلاثي[٣٩]: بعط، ومن الثنائي ((بت)) تشكل الثلاثي[٤٠]: بتل وبتر. ومـــن الثنائي ((بج)) تشكل الثلاثي[٤١]: بعج، وفي ذلك كله تخلص من المقطع المغلق (ص ح ص) -التشديد- عـــن طريق المخالفة الصوتيّة.

ويبدو أن بعض الصّيغ الجديدة المتولّدة مرّت بطَوْر آخر، تناوبت فيه بين القلب المكاني أو تكويـــن بنيـــة رباعيّة، فمن ((بعط)) تولّدت ((عبط))، ومن ((بتر)) تولّدت ((برت))، كما في الرّسم التالي:

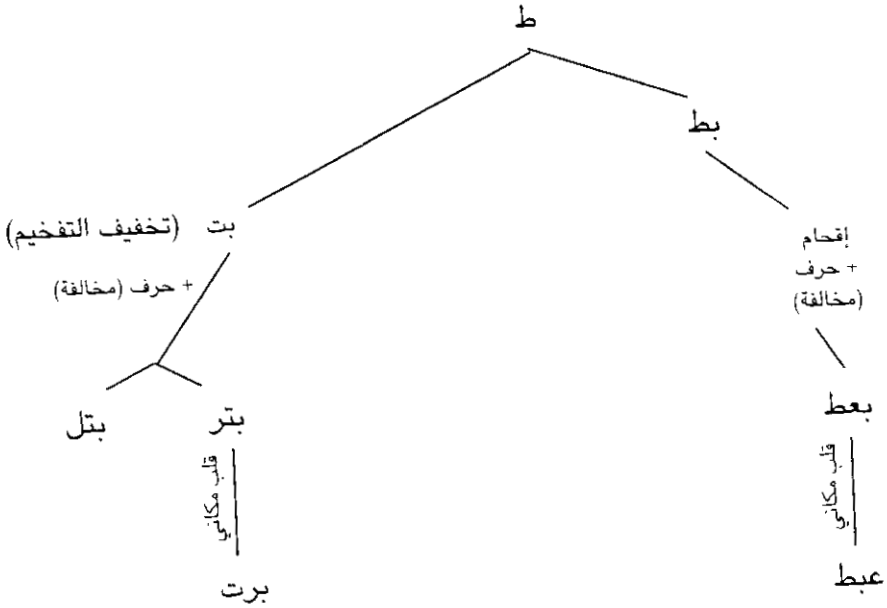

ويعزّز التحليلُ السّاميّ للمدخل المعجميّ ((أصل))[٤٢] هذا التوجّه؛ فهو صورةٌ ثلاثيّة عن أصل ثنائيّ متقارب في اللغات الساميّة[٤٣] هو أص، وعص، وأس، وأث في العربيّة وأشّ في آراميّة العهدِ القديم OS[٤٤] وأش في الأكدية USS[٤٥].

ويبدو أن ((أص)) هو الأصل؛ لأنّ الهمزة أعمقُ مخرجاً، والعمقُ من أدلة الأصالة في نظام الحُزم الصوتيّة، ثم الصّاد لأنها مفخمة، والتفخيم من أدلة التلاؤم مع البيئة العربيّة القديمة، ثم تلوّن هذا الأصل ((أص)) إلى ((عص))، و((أس))، و((أث)) بعد تبدُّل الهمزة إلى عين.

أما ((أص)) فبنية انتقلتْ في الاستعمال عن طريق المخالفةِ إلى البنية الثلاثيّة "أصل" على حين سلب التفخيم من الصّاد فصارت "أس" التي مرَّت بعد ذاك بدورين: الأوّل بزيادة حرف السّين للإلحاق بالثلاثيّ "أسس"، والثاني بإبدال السين ثاءً "أث"، ومثلُ هذا التبادل معروفٌ ربما كان في أصل نشأته أثراً من الإعاقة النطقية لدى طائفة من أبناء المجتمع اللغويّ[٤٦]، أما البنية "أث" فما لبثت أنْ أخذت طريقها إلى النمو فصارت "أثل" عن طريق المخالفة. وتكرَّر المقطع "عص" فقيل: "العصعوص"[٤٧] وهو أصل الذنب.

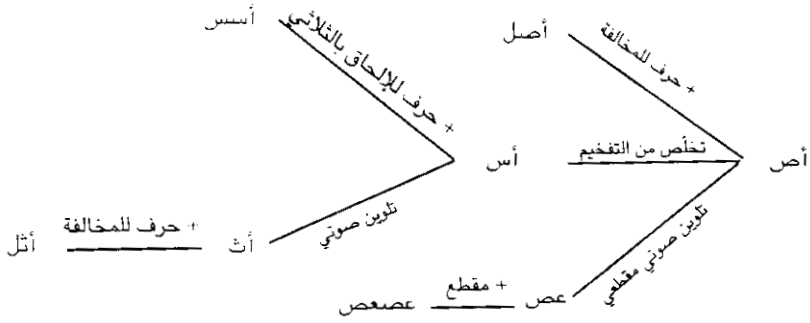

(٤)

ولا يكون تطوّر الصّوت اللغوي وقفاً على البيئة الجغرافية، فثمّة بيئة صوتيّة تطوّر في الصّوت اللغوي على مستوى اللفظة المفردة أو على مستوى التّركيب السّياقي، فتنقله من الهمس إلى الجهر؛ أو من الترقيق إلى التفخيم، أو من الشّدّة إلى الرّخاوة أو العكس متّخذاً في ذلك مسلكين: الأول على مستوى الاستعمال، والثاني على مستوى التّقعيد اللغوي المعجمي.

ففي المسلك الأوّل تشرب السّين في "سطر" صوت الصّاد بحكم مجاورتها الطاء، وكلا الحرفين في بيئة صوتيّة تختلف في صفة التّفخيم والترقيق والشّدّة والرّخاوة.

وتشرب الدّال في قول القائل: ((قدّ طريف قميص أخيه)) صوت الطّاء أو الضّاد بحكم مجاورتها الطّاء فتكتسب صفة التّفخيم.

وعندما يحوّل السّامع الوحدات الصّوتيّة إلى ما يقابلها من المعاني يقوم بعملية تحليل تلقائي لأصوات كلّ معنى فإذا سمع أصواتاً لمعنى ما، وأخطأ في تحليله نتيجة مؤثر في كيفية النطق أو في العادات الصوتية للنطق، فإنه سيولّد معنى هو نفسه لو سمع الصّوت صافياً، فإسناد الفعل ((بتّ)) إلى ضمير رفع متحرّك كضمير المتكلم مثلاً يولّد الصّيغة: ((بَتْتُ)) بفكّ الإدغام، وهذه الصّيغة يتّحد فيها صوتا التّاء لشغل الصوت الثاني والثالث من معيار الفعل الثّلاثي، أي أن الصّوت الواحد قام بوظيفة حرفين انضمّ إليهما التاء، وهنا قد يلجأ المتكلّم أو السّامع إلى إبدال سريع للتاء الثانية فيولّد صوت اللام أو الرّاء أو ما شابهها تبعاً لقدرة جهازه الصّوتي على التّنقّل بين الحروف.

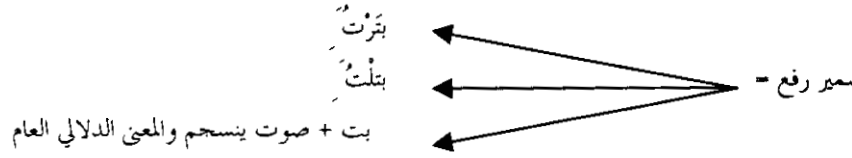

فتنشأ والحالةُ هذه ظاهرةُ المخالفة[٤٨] التي هي في وجهٍ من وجوهها ظلالٌ صوتيّة، وتنوّعات نطقيّة لمعجيّة لمعنى واحدٍ، يقعّدها علماءُ اللغة على أنها أصولٌ مستقلة لا تنوعات لأصلٍ واحدٍ، فتغتني بذلك الحقول الدلاليّة في المعجم.

وهذه الرؤية اللغويّة فيها إدراكٌ وحدس بضرورة المحافظة على الحرية النسبيةِ التي يتمتعُ بها المتكلمُ ضمن بيئته الصغرى، فلا يمكن قَسْرُ كلِّ المتكلّمين في الجبالِ والبوادي والسهول والصحاري والمدن على اختلاف مستوياتهم الثقافيّة والحضاريّة والبيولوجيّة والجغرافيّة على نطق واحدٍ.

أما الوجه الآخر لتأثير البيئة الصوتيّة فهو ما يعرفُ بالمماثلة[٤٩] فإذا كانتِ المخالفةُ تنويعاً صوتيّاً في ظلِّ اتحاد المعنى، فإنَّ المماثلة اتحاد صوتيّ يكشف عنه المعنى، لأنَّ السّامعَ يدركُ بذائقته اللغويّة أن إحدى الدالين في ((ادّعى)) مبدَلة من التاء لأنّ معنى الادعاء لا يتحققُ بدالين، وإنما بدال وتاء.

أما المسلكُ الثاني ففيه يكون المدخلُ المعجميّ عرضةً لاحتمالات تأصيليّة مختلفة تبعاً لظروف النطق أو السامع البيئيّة والبيولوجيّة والثقافيّة وميله للاقتصاد في الجهد، وفيه تباينتْ مواقفُ اللغويّين قدماء ومُحْدَثين؛ فمن قائلٍ بالتصحيف إلى قائل بالإبدال أو القلب أو اختلاف اللجهات أو فكّ التضعيف أو القياس الخلطئ أو عيوب النطق.

واللافت في موقف اللغويين من هذه الظواهر أنّ أحكامَهم كانت تدورُ في مستوى اللفظة المفردة لا في مستوى الظاهرة الكلّيّة، مما جعلها -أحياناً- أحكاماً مائعةً لا ضابطَ لها يحدّدها، فما عيارُ قولهم: ((مَعَطَ الشيءَ ومَغَطَه))[٥٠] إذا مدَّه من باب التصحيف عن حين قالوا: ((المغطس لغةٌ في المغص))[٥١]؟

وما عيارُ قولهم: ((القُمْعل والقلعم))[٥٢] للقدح لغة على حين جعلوا ((قبط وقطب))[٥٣] من باب القلب؟

بل إنّ سعيَهم الدؤوب لتسويغ التناغم الصوتيّ والدلاليّ بين البنية والبنية ضيَّقَ سُبلَ اللغة، فالقول بالتصحيف أو بالقلب وما شاكلَهما الذي غالباً ما يعدُّ عَيباً لعلّه يكون مظهراً من مظاهر التوسُّع اللغويّ والتعدُّد اللهجيّ، فما دام ليس ثمة جَرْحٌ دلاليّ للفظة المقلوبة أو المصحَّفة أو المبدلة فهذا مُسوِّغ كاف لجعلها أصلاً، ولعلّ في التراكم الاشتقاقيّ الممتدّ للفظة المتولدة بسبب التصحيف وغيره من التبدلات الصوتيّة التي أطلق عليها اسم الإبدال أو القلب أو ... ما يعزّز أصالتها.

كما ينبغي ألا يغيبَ عن أذهاننا ونحن نَسِمُ البنية الصوتيَّة بالعيب النطقيِّ أن نحدّدَ جغرافيّة المكان فربَّ عيبٍ في بيئتنا الصوتيّة كان صواباً في بيئة صوتيّة أخرى، كما في ظواهر العنعنة والكشكشة والفحفحة وغيرها.

(٥)

ولم يغبْ عن لغويّي العربيّة وهم يبنون المعجم العربيَّ أنّ بعض الأصوات المتباينة تحمل معنى واحداً لكنَّهم ما كانوا يستطيعون بناء المعجم العربيّ على الأساس الصوتيّ وحدَه؛ لأنَّ التنوعات الصوتيّةَ لم تصلْ حدَّ القاعدة العامّة المطّردة؛ إذ لا يتيسر لكلِّ امرئ أن يدركَ أن لكلِّ ثنائيٍّ من المجموعات التالية معنى واحداً ((طمَّ وطمر))[٥٤]، ((حشط وكشط))[٥٥]، ((نقب ونقر))[٥٦]، ((لقف ولقط))[٥٧]، ((فدك القطن وفتكه))[٥٨]: إذا

نفشه، ((ذبّ وذبل))[٥٩]، ((حزك الثوب وحزقه))[٦٠] وغيرها؛ لهذا لجأ اللغويّون إلى الأشكال وقدموا الشكل على المضمون لأنّ شكل ((طمّ)) غير شكل ((طمر)) ، وشكل ((حشط)) غير شكل ((كشط)) وهكذا، وبما أن المغايرةَ الشكليَّةَ ظاهرةٌ فإنها تصلح مدخلاً للتقعيد المعجميّ.

ثم سعى اللغويّون إلى ما وراء هذه التباينات الصوتيّة الشكلية فحاولوا الغوص على معنى دقيق تنماز بـــه البنية عن البنية فقالوا: ((اللّقف)): تناول الشيء يرمي به إليك، واللّقط أخْذ الشـــيء مـــن الأرض وقـــالوا ((النّقر)): لما تثقبه بالمنقار، و((النقب)): الثقب في أيّ شيء كان، وكذا قالوا اعتباطاً[٦١] بالفرق بين ((قدَّ)) و ((قطَّ))، و((قطع))، و((قطف))، و((قطم)) وغيرها وشاع قولهم حتى أصبح اســـتعمالاً يســـتعمل وقياســـاً يحتذى.

ولعلّ في رَدْفِ التصوُّر النظريّ للعلائق الصوتيّة وتبدلاتها في ضوء الثبات الدلاليّ بمثالٍ تطبيقيّ شـــروعاً في إضاءة النصفِ الآخر من البحث العلميّ.

ففي محاولة لتتبع دلالات القطع[٦٢] في المعجم العربيّ تبيّن أنها تشكّل أُسَراً وعوائلَ ممتدة تفرعت من أصـــل واحدٍ وهو ((القاف والطاء))؛ فاللغة لا تتكون من أصوات منعزلة بل من نظام مـــن الأصـــوات[٦٤] وهـــذه الأصوات تؤدي إلى النشاط الذي تتحوّل فيه الرموزُ الصوتيّة إلى حقيقة ماديّة فاعلة، ولهذه الرمـــوز خـــواصُّ سمعيّة وعضويّة ودلالات معنويّة وسمات إيحائيّة وكفاءات خاصة في تجسيد الفكر الإنسانيّ[٦٥].

ولما كانت ((الطاء)) تنسجم في بيئتها الصوتيّة مع البيئة الجغرافية الخشنة للعربي فقد ارتضاها بنية تعبِّر عـــن معنى القطع.

وفي الوقت الذي كانت فيه ((قط)) تعيش في مجتمع قاسٍ بيئياً نشأت لها أختان حافظتا علـــى الحـــرف المؤسِّس ((القاف)) ونوّعتا في نطق ((الطاء)) بحيث ينسجم مع معطيات الحضارة والبيئة من جهة، والاعتيـــاد لهذه البيئات من جهة أخرى، فبيئة قالت: ((قص))، وثانية قالت: ((قث)).

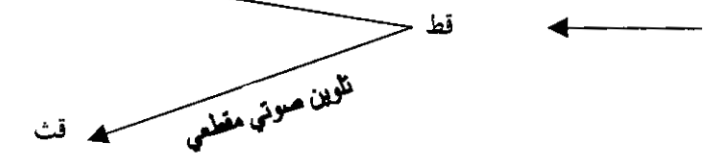

ولعلّ في ((قث)) ميلاً واضحاً للناطق في الاقتصاد في الجهد؛ إذ اختصر في ازدواجية المخـــرج الصـــوتيّ للحرف ووقفه على جهة واحدة، فالطاء والصاد تبادلا وهما أسنانيان لثويان، أما الثاء فأسناني فقـــط، وبـــذا يكون التبادل بين الأصوات تبادلاً بين الحزم المتماثلة مرّة، والمتقاربة ثانية، فالطاء في ((قط)) عندما صـــارت صاداً ((قص)) تبدلت أصواتها وفقَ أصوات الحزمة الواحدة، ولكنّها حينما صارت ((قث)) فإنها تبدلت وفـــق

حزمة الأصوات المتقاربة في المخرج، وبذا يكون التبدل تاريخياً استئناساً بنظام الحزم الصوتية على النحو التالي: ((قط)) ثم ((قص)) ثم ((قث)).

و لم يكن هذا التبادل الصوتي إلا استجابة لمقتضيات الظرفين: الجغرافي والاجتماعي الحضاري.

ويبدو أن هذه البنى تزامنت وشكلت كل واحدة منها أصلاً دلاليّاً تكاثرت فروعه على غير طريق.

وقد اتفق الأصلان ((قط)) و((قص)) في سيرورة التبدل والتحوّل؛ إذ مالا إلى زيادة مقطع قصيرٍ مفتوح لينتقلا بذلك من الثنائية إلى الثلاثية فتولّد من الأصل ((قط)): ((قطع))، و((قطف))، و((قطب))، و((قطر))، و((قطل)). وتولد من الأصل ((قص)): ((قصم))، و((قصف))، و((قصل))،كما في الرّسم التالي:

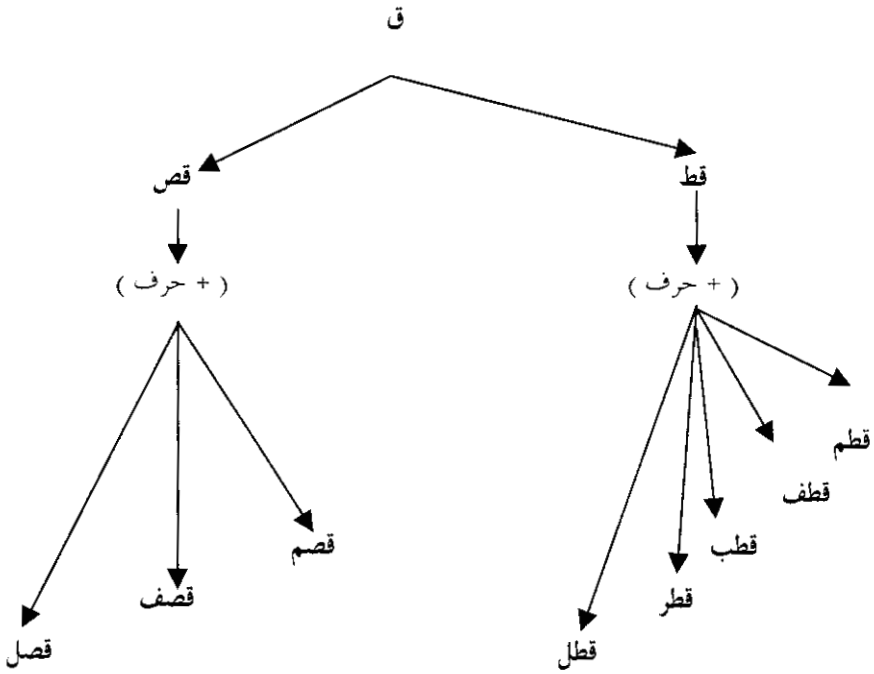

واستقلت البنى الصوتيّة المتولّدة بحيث شكّلت أصولاً جديدة تدور في فلك الأصل الأوّل من حيث الدلالة والاستقلال الجزئيّ في بعض الأصوات كان استقلاله متحركاً بحيث سمح بتشكيل سلسلة جديدة من البنى الصرفية التي أخذت تتحلّل شيئاً فشيئاً من الاشتراك الجزئيّ فصارت تنتقل من صوت إلى آخر يشترك معها في الحزمة الصوتيّة أو في الصّفات الجامعة بين الأصوات كالجهر والهمس أو التّفخيم والتّرقيق أو الشّدّة والرّخاوة. وقد اتّخذ هذا التّحرّك أشكالاً تباينت بين القلب الموقعي كما في ((قطر)) التي صارت ((قرط))، أو بزيادة حرف ينقل البنية من بنية ثلاثيّة إلى بنية رباعيّة نحو ((قطل)) التي صارت ((قعطل))، و((قصم)) التي صارت

((قصمل))، وقد يكون التّحوّل بانتقال الحرف من صفة التفخيم إلى صفة الترقيق كما في ((قصم)) و((قسم)).

قطر ((قلب))= قرط.

قطل + حرف = قعطل.

قصم – تفخيم الحرف ((ص))= قسم.

قصم + حرف= قصمل.

أما الأصل ((قث)) فقد مال إلى تنويع البيئة الصوتية فأبدل صوت الجيم غير المعطّشة بالقاف مرّة والثاء بالذال مرّة أخرى، أي أنه منح الثاء صفة الجهر بعد أن كانت مهموسة على حين انتقل انتقالاً واسعاً بين القاف والجيم.

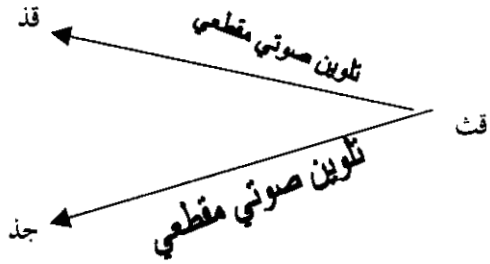

وقام الفرعان ((قذ)) و((جذ)) مقام الأصل، وتابعا الفعل((قث)) في سيرورة التّطوّر فأحدثا تبدّلاً ثانياً حافظاً فيه على ثنائية اللفظ، وأجريا تحويراً صوتيّاً على المقطع الثاني للبنيتين؛ فالذال في ((قذ)) انتقل من حزمة الأصوات الأسنانيّة إلى حزمة الأصوات الأسنانية اللثوية، ومن الشّدّة إلى الرّخاوة، ومن الجهر إلى الهمس محدثاً صوت ((الدال))، ثم عاد وسلب الهمس مكتفياً بتنويع في المخرج وصفة التحكم مُحدثاً صوت ((التاء)).

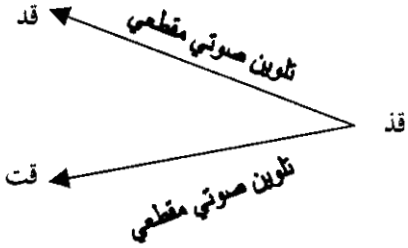

والذّال في ((جذ)) نوّعت في المخرج بين أسنانيّ وأسنانيّ لثويّ، كما نوّعت في صفات الحرف بين الرّخاوة والشّدّة، والهمس والجهر مّحدثة صوت ((الثّاء)) و((الدّال)) و((الزّاي)) ثم نوّعت البنية ((جث)) في

صفات الثّاء من حيث المخرج مُحدثة الصوت ((ش)) فأصبت ((جش)). وهذا التبادل الصوتي بين الشّين و الثّاء معروف بين اللغات السّامية[٦٦].

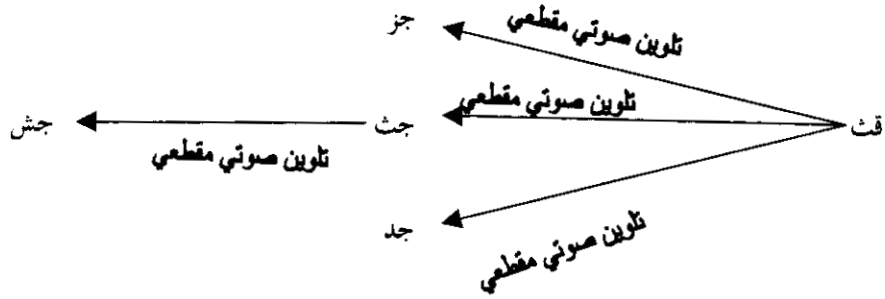

ويبدو أنّ التّنوّع الكبير في هذه البنية يرتبط إلى حدّ ما بعاملي الاقتصاد في الجهد عند توفير مقطع قصير، ومقتضيات المدنية ذات الخطاب اللغويّ المتزايد التّطوّر.

وشفعت هذه المرحلة بمرحلة تطوّرت فيها بعض البنى الثّنائيّة إلى الثّلاثيّة على حين حافظت بعض البنى على ثنائيّتها بين الثّبات والتّحوّل؛ فتشكّلت من البنية ((قت)) البنية الثّلاثية ((قتل)) ، ونشأ عن ((جذ)) البنية الثلاثية ((جذم)) على حين مرّت ((جز)) بدورين يبدوان متزامنين:

الأول نحا نحو التّطوّر الثّلاثي، والثاني ثبّت الثّنائيّة بتطوير في المخرج واتّفاق في صفة الرّخاوة والهمس والترقيق محدثاً صوت ((الحاء)) فصار ((حز))، وسرعان ما ترسّمت البنية ((حز)) خُطا البنية ((جز)) فمرّت بطورين: ثلاثيّ بفكّ التّضعيف للمخالفة فصارت ((حزم))، وثنائي بتطوير البيئة الصوتيّة للمقطع الأول مرّة، وللمقطع الثّاني أخرى فصار ((خذ)) و ((جذ)) وهما صوتان يتّفقان جزئياً ببعض الصّفات مع الجيم.

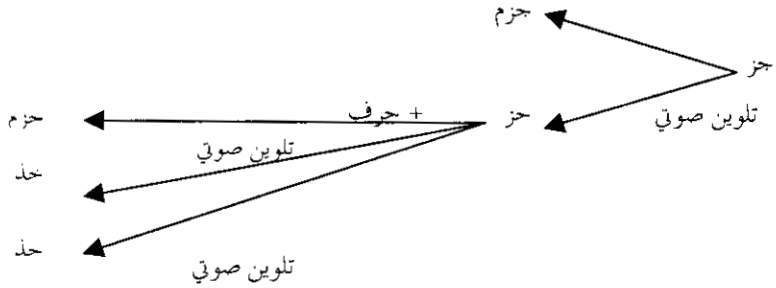

وشكّلت البنية ((حزم)) أصلاً تطوّر إلى ((حسم)) بسلب الصّوت ((زاي)) صفة الجهر وتحويله إلى صوت مهموس.

أما ((حذ)) فغادرت ثنائيّتها مشكّلة صيغاً ثلاثيّة مُدّ في أحدها صائت الذّال القصير إلى صائت طويل هو الألف صارت ((حذا))، وزيد الحرف الشفوي ((الميم))، والشفويّ الأسنانيّ ((الفاء)) فصارت ((حـــذم))، و((حذف)).

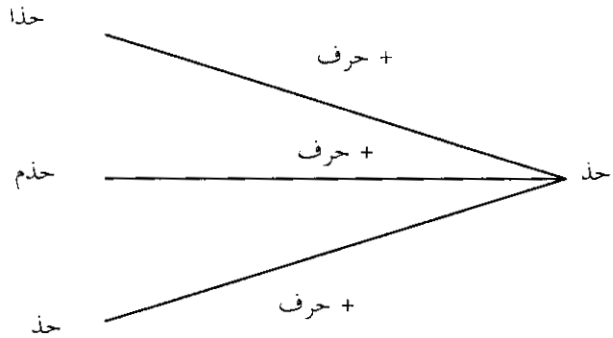

وأما ((خذ)) فتطوّرت تطوُّرين: الأوّل بتحويل بسيط في المخرج ينقل ((الذال)) من حزمة الأصوات الأسنانيّة إلى حزمة الأصوات الأسنانيّة اللثويّة محدثاً صوت ((الدال)) لتصير ((خد))، والثاني بزيادة مقطع قصير لتصير ((خذم)) كما في الرسم التالي:

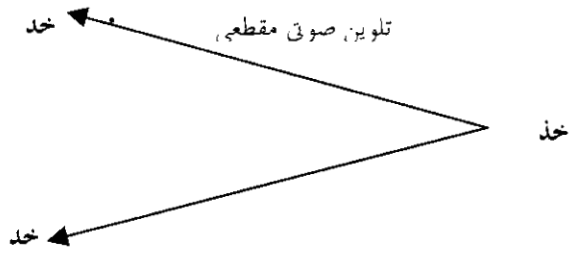

ويمكن استجماع سلسلة التّطوّرات الصّوتيّة لمعنى القطع في صوت القاف في الرسم التالي:

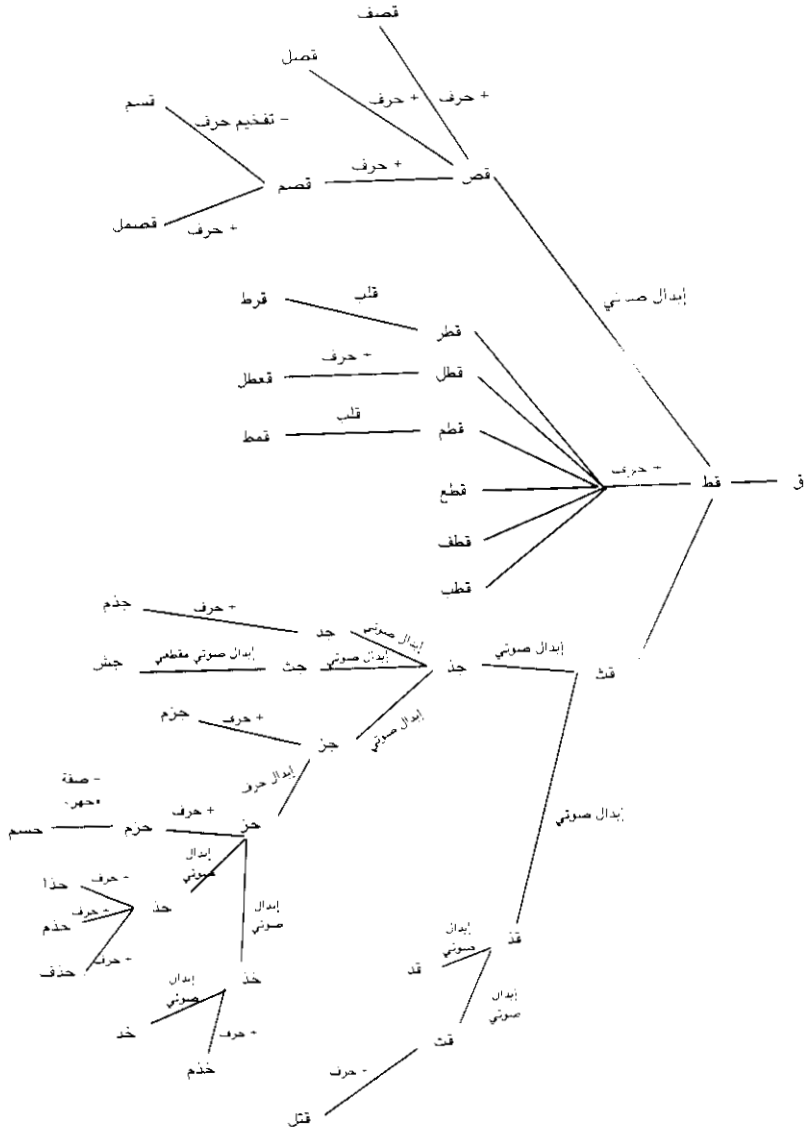

وهذا الشكل تصور مصغر محدود لأن سلسلة التطورات ليست نهائيّة، فاللغة كائن حي دائم التّطوّر.

وهكذا، فالبنية الدلاليّة الواحدة قد تتّخذ أشكالاً صوتيّة متعدّدة بدءاً من الإشارة الصوتيّة الأولى التي سرعان ما تنتقل من الإشارة الأحاديّة إلى البنية الثّنائيّة والثّلاثيّة، لتصبح جزءاً من النّظام الصّرفي للغة، ويلاحظ بصفة عامّة أنّ البنية الدلاليّة الواحدة تتكوّن من عنصرين:

الأوّل: المكوّن الصّوتي الدّلاليّ الأساسيّ، وهو العنصر البسيط الأوّل الذي حمل المعنى العامّ.

والثاني: المكمّل الصّوتيّ لا الدّلاليّ، وهو التكملة الصوتيّة التي قد تلوّن المعنى ولكنها لا تخرجه عن دلالته العامّة الأولى.

والعلاقة بين المكوّن الصّوتيّ ومكمّله تأخذ شكل الثّابت والمتغّير فالمكوّن الصّوتيّ يحافظ على أعلى درجات الثّبات في حين يتلوّن المكمّل الصّوتيّ بأصوات مناسبة في إطار الحزمة الواحدة، وإن طرأ تغيّر صوتيّ تبادليّ مع الحزمة للمكوّن الصّوتيّ فمحدود جداً.

ويلاحظ أنّ المكوّن الصّوتيّ يسبق غالباً المكمّل الصّوتيّ لأنّ انطلاق الدّلالة منه وارتكازه عليه، ولا يكاد هذا النّسق ينكسر إلا عند توسيع البنية إلى البنية الرباعيّة فيمكن أن يسبق المكمّل المكوّن لأنّ البنية الثلاثيّة إلصاقيّة، أما الرباعيّة فهي اندماجيّة تعيد تشكيل البنى الصّوتيّة في إطار المعنى الواحد تشكيلاً حرّاً وتبدو تاريخيّاً هي المرحلة الأحدث في سلسلة التّطوّر الصّوتيّ.

الهوامش

(١) انظر: ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، دار الفكر، بيروت، ((معـــط))، ((مغط)).

(٢) المصدر نفسه، ((رهمس))، ((رهسم)).

(٣) المصدر نفسه ((رص))، ((رصف)).

(٤) المصدر نفسه، ((كفـــر)). وانظـــر: الراغـــب الأصفـــهاني، أبـــو القاســـم الحســـين بـــن محمـــد (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م)، تحقيق محمد خليل عيناني، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٩٩، كفر.

(٥) سورة المائدة، آية ٨٩.

(٦) سورة النساء، آية ٣١.

(٧) ثمة دراسات لغوية تأصيلية تعنى بهذه الظاهرة للدكتور إسماعيل عمايرة ؛ وهي دراسات أولية مهمة تفتح الباب للدّارسين لمتابعة الدّراسات وفق منهج تاريخي مقارن.

انظر: إسماعيل عمايرة:

(١) ظاهرة تكرار المعاني في المعجم العربي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عـــدد ٤٥، ١٩٩٣م. ضمـــن كتاب: بحوث في الاستشراق واللغة، مؤسسة الرسالة- دار البشير، ١٩٩٦م، ط١، ص١٥٧-١٧٠.

(٢) نمو الجذور اللغوية- في سبيل معجم تاريخي للعربية، مجلة "دراسات" الأردنية، ١٩٩٩ ضمـــن كتـــاب تطبيقات في المناهج اللغوية، دار وائل، ط١، ٢٠٠٠، ص١١-٧٧.

(٣) تأصيل الجذور اللغوية في المعجم العربي- في سبيل معجم تاريخي للعربية، مجلة الدراســـات الإســـلامية والعربية، ضمن كتاب: تطبيقات المناهج اللغوية، دار وائل، ط١، ٢٠٠٠، ص٧٩-١٠٥.

(٨) انظر ابن منظور، لسان العرب، ((سوق)).

(٩) المصدر نفسه، ((بقر))، ((عقر)).

(١٠) المصدر نفسه، ((دعع))، ((دفع)).

(١١) تعتمد الدراسة في وصف الأصوات وصف اللغويين المحدثين.

(١٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ((زحلك)).

(١٣) المصدر نفسه، ((برهم)).

(١٤) المصدر نفسه، ((ترمس))، ((ترنس)).

(١٥) المصدر نفسه، ((جرجب)).

(١٦) المصدر نفسه، ((همر)).

(١٧) المصدر نفسه، ((شهرب)).

(١٨) المصدر نفسه، ((خذعب)).

(١٩) المصدر نفسه، ((عنظل))، ((نعظل)).

(٢٠) انظر سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ/٧٩٦م)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م، جـ٤، ص٤٣١-٤٣٢.

(٢١) انظر: إسماعيل عمايرة، نمو الجذور اللغوية: في سبيل معجم تاريخي للعربية، ضمن كتاب تطبيقات المناهج اللغوية، ص٣٢، ٥٠.

(٢٢) المخرج المتماثل يعني خروج صوت من المحيط نفسه لا من الحيز أو النواة نفسها، لأن الحيز أو النواة يخرجان صوتاً متطابقاً، فالقول إن الغين والخاء مثلاً من مخرج واحد صحيح غير أن نقطة انطلاق الصوت للغين تختلف عنها في الخاء، وهكذا الحال بالنسبة للأصوات ذات المخرج الواحد.

(٢٣) وقد جاء ترتيب الخليل على النحو التالي:

((ع، ح، ه، خ، غ /ق، ك / ج، ش، ض / ص، ص، ز/ ط، ت، د/ ظ، ذ، ث/ ر، ل، ن/ ف، ب، م))

(٢٤) يختص الحديث في هذا البحث في التحولات الصوتية في إطار الثبات الدلالي؛ ذلك أن هناك تحولات صوتية تصحبها تلونات دلالية نحو: زال وسال، وطين وتين وغيرها.

(٢٥) انظر: أسعد علي، تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، منشورات دار النعمان، لبنان، ١٩٦٨، ص٦٣.

(٢٦) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ((وكز))، ((لكز))، ((لقز))، ((همز))، ((لهز))، ((همز))، ((بحز))، ((نحز))، ((محز))، ((مهز)).

(٢٧) أسعد علي، تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، ص٦٤

(٢٨) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ((غاب))، ((غرق))، ((غاص))، ((غطس))، ((غرف))، ((غمر)).

(٢٩) انظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد (٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة الباب الحلبي، ط٢، باب الكاف والثاء وما يثلّثهما (كثر، كثف، كثع، كثم، كثب) وباب النون والتاء وما يثلثهما (نتج، نتح، نتخ، نتر، نتف، نتق، نتك، نتأ).

(٣٠) ابن منظور، لسان العرب، ((غط)).

(٣١) المصدر نفسه، ((ثكل)).

(٣٢) انظر: ابن السّكّيت، الإبدال، تحقيق حسن شرف، مطبوعات مجمع اللغة العربيـــة، القـــاهرة، ١٩٧٨، ص١١٣.

(٣٣) انظر: عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ط٣، ١٩٨٩، ص١٤٥. وفندريـــــس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العـــربي، القاهرة، ١٩٥٠، ص٨٠. ومحمد المبارك، فقه اللغة وخصائصها العربية، دار الفكـــر، بـــيروت، ط٣، ١٩٦٨م.

(٣٤) الفارابي، أبو النصر محمد بن محمد بن طرخان، الحروف، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بـــيروت، ١٩٦٩، ص١٣٦-١٣٧.

(٣٥) انظر: نصرت عبد الرحمن، الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي، دار الفكر، عمـــان، ١٩٨٥م، ص١٩.

(٣٦) الفارابي، الحروف، ص١٣٧.

(٣٧) الأب أنستاس الكرملي، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٨، ص١-٢. وانظر الفارابي، الحروف، ص١٣٥-١٣٦.

(٣٨) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ((بطط))، ((بتت))، ((بحح)).

(٣٩) انظر البنى المذكورة في مظانها في لسان العرب.

(٤٠) انظر المصدر نفسه، ((بتل))، ((بتر)).

(٤١) المصدر نفسه، ((بعج)).

(٤٢) المصدر نفسه،((أصل)).

(٤٣) انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الكبير، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م، ((أس)).

(٤٤) المصدر نفسه، ((أس))، ((أص)).

(٤٥) المصدر نفسه،((أس)).

(٤٦) انظر: اسماعيل عمايرة، نمو الجذور اللغوية، ضمن كتاب تطبيقات المناهج اللغوية، ص٢١.

(٤٧) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ((عصص)).

(٤٨) وهي ظاهرة لغوية قديمة سلكها الناطق للتخلص من ثقل المتماثلين وتقليل الجـــهد المبـــذول في نطـــق الأصوات التي من حيز واحد؛ وذلك بتغيير أحدهما إلى صوت مناسب يغلب أن يكون من أصوات العلة أو الأصوات المتوسطة أو المائعة كاللام والميم والنون.

للمزيد انظر: برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، تصحيح رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٢، ص٣٣. وعبد العزيز مطر، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٢١٣. وبسام بركه، علم الأصوات العامة، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٨٨م، ص٤٩-٥٠.

(٤٩) والمماثلة إدغام جزئي نشأ عند التكلم بآلية تلقائية تهدف إلى تحقيق الانسجام الصوتي وتقليل الجهد العضلي المبذول في نطق الأصوات المتجاورة في الصفة والمخرج.

انظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٧٩، ص٢١٣. والطيب بكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ط٢، تونس، ١٩٨٧م، ص٦٩.

(٥٠) انظر ابن منظور، لسان العرب، ((معط))، ((مغط)).

(٥١) المصدر نفسه، ((مغس))، ((مغص)).

(٥٢) المصدر نفسه،((قمعل))، ((قلعم)).

(٥٣) المصدر نفسه،((قبط))، ((قطب)).

(٥٤) المصدر نفسه،((طمم))، ((طمر)).

(٥٥) المصدر نفسه، ((حشط))، ((كشط)).

(٥٦) المصدر نفسه، ((نقب))، ((نقر)).

(٥٧) المصدر نفسه،((لقف))، ((لقط)).

(٥٨) المصدر نفسه،((فدك))، ((فتك)).

(٥٩) المصدر نفسه،((ذبب))، ((ذبل)).

(٦٠) المصدر نفسه، ((حزك))، ((حزق)).

(٦١) ويبدو أن الأب أنستاس الكرملي استشعر أن اللغويين حين قعدوا لبناء معجم عربي اصطدموا بالدلالات الثابتة في ضوء التحول الصوتي، فقالوا بالفروق الدقيقة بين المعنى والمعنى فقال في قولهم بالفرق بين: ((فحث الحية وحفت)): ((إلا أن بعض المتقعرين منهم قالوا: الحفيف من جلدها، والفحيح من فيها)). انظر: الكرملي، نشوء اللغة، ص١٧.

(٦٢) بين عبد الحق فاضل أن ((قط)) تكاد تكون أخصب كلمة في المعجم العربي كله أي في معاجم اللغات البشرية قاطبة، فقد استعملت منذ النشأة الأولى للبشرية وتلونت أشكالها النطقية والإملائية.
انظر عبد الحق فاضل، قط وبناتها، مجلة اللسان العربي، مجلد ١٨، ج٣.

(٦٣) انظر: أسعد علي، تهذيب المقدمة اللغوية، ص٦٤.

(٦٤) انظر: فندريس، اللغة، ص٦٢.

(٦٥) أحمد محمد معتوق، الحصيلة اللغوية أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد٢١٢، ص٤٢.

(٦٦) انظر: إسماعيل عمايرة، نمو الجذور اللغوية: في سبيل معجم تاريخي للعربية، ضمن كتاب تطبيقات المناهج اللغوية، ص٤٨.